آدم سميث وثروة الأمم

الأستاذ الدكتور مصطفى العبد الله الكفري

آدم سميث عالم اقتصاد وفيلسوف ومؤلف اسكتلندي عاش في القرن الثامن عشر، ويعد أباً لعلم الاقتصاد الحديث. كان سميث مؤيداً لسياسات عدم التدخل الاقتصادية وكانت أفكاره الجديدة تتناقض أحياناً مع أفكار التجاريين (المركنتليين Mercantilism). وهو أول من حدد بشكل علمي مفهوم الناتج المحلي الإجمالي ونظريته في تعويض فروق الأجور.

Contents

1 - آدم سميث أبو علم الاقتصاد الحديث: 2
2 - كتاب آدم سميث الشهير ثروة الأمم Wealth of Nations:..... 3
3 - الثروة كما يراها سميث هي: 4
4 - ما هو الإنتاج برأي آدم سميث: 5
5 - مبدأ تقسيم العمل: 5
6 - نظرية آدم سميث في مسألة النقود:..... 6

آدم سميث وثروة الأمم

الأستاذ الدكتور مصطفى العبد الله الكفري

آدم سميث عالم اقتصاد وفيلسوف ومؤلف اسكتلندي عاش في القرن الثامن عشر، ويعد أباً لعلم الاقتصاد الحديث. كان سميث مؤيداً لسياسات عدم التدخل الاقتصادية وكانت أفكاره الجديدة تتناقض أحياناً مع أفكار التجاريين (المركنتليين Mercantilism). وهو أول من حدد بشكل علمي مفهوم الناتج المحلي الإجمالي ونظريته في تعويض فروق الأجور. [1]

تاريخ ميلاد سميث المسجل كما ورد من المعمودية 5 يونيو 1723 في كيركالدي باسكتلندا. انتسب سميث إلى جامعة غلاسكو في اسكتلندا وهو في سن الثالثة عشرة، ودرس الفلسفة والأخلاق. ثم التحق بالدراسات العليا في كلية باليول المرموقة في جامعة أكسفورد. بعد عودته إلى اسكتلندا، إلقى سميث سلسلة من المحاضرات العامة في جامعة إدنبرة. ساعده نجاح سلسلة محاضراته في الحصول على أستاذ في جامعة غلاسكو عام 1751. وحصل على منصب رئيس مسار الفلسفة الأخلاقية. خلال سنواته التي قضاها في التدريس والعمل في جامعة غلاسكو، نشر سميث بعض محاضراته. كما نشر كتابه (نظرية المشاعر الأخلاقية) في عام 1759 . ثم انتقل إلى فرنسا عام 1763 لقبول منصب أكثر مردوداً كمدرس شخصي لربيب تشارلز تاونشند، وهو اقتصادي هاو ومستشار الخزانة المستقبلي. خلال فترة وجوده في فرنسا، عاصر سميث الفلاسفة ديفيد هيوم وفولتير وبنيامين فرانكلين. [2]

1 - آدم سميث أبو علم الاقتصاد الحديث:

معظم الاقتصاديين يؤكدون أن آدم سميث هو أبو علم الاقتصاد الحديث، ويستندون بذلك إلى أنه منذ أن نشر كتابه بعنوان: ثروة الأمم Wealth of Nations تراجعت أهمية معظم الكتب التي وضعت في علم الاقتصاد قبله،

[1] - معهد آدم سميث. "ثروة الأمم". تم الوصول إليه في 1 مارس 2020.
[2] - موسوعة بريتانيكا. "آدم سميث." تم الوصول إليه في 1 مارس 2020.

بعبارة أخرى أنه فاق من كان قبله من علماء الاقتصاد، أما أسباب تميز كتابه عن غيره من الكتب الاقتصادية فهي: [3]

أولاً ـ كان لكتابه في عهده قيمة علمية وفكرية وأدبية.

ثانياً ـ اقتبس آدم سميث ممن سبقوه من علماء الاقتصاد، وأضاف ما اكتسبه بالخبرة أو وصل إليه بالدرس فوضع نظاماً جديداً شاملاً. ويظهر أن المؤلفين الذين كان لهم عليه تأثير كبير في حياته، أو كانت أفكارهم من دواعي سلوكه الطريق التي سلكها (هتشون وهيوم ماندفيل).

ثالثاً ـ استفاد من آراء الفيزوقراطيين، حيث التقى أثناء إقامته بباريس عام 1765 اثنين من أقطاب المدرسة الفيزوقراطية (تيرجو وديكناي)، وتأثر سميث بأهم آراء الفيزوقراطيين، وخاصة ما يتعلق بتقسيم الثروة، ويرجع تفوقه عليهم أنه ترك الأنظمة الاقتصادية المفككة، وأدخل الاقتصاد في دائرة العلوم؛ فأصبح (علم الاقتصاد). توفي سميث في 19 يوليو 1790 ، عن عمر يناهز 67 عاما.

2 - كتاب آدم سميث الشهير ثروة الأمم Wealth of Nations:

كانت مساهمة سميث الأبرز في مجال الاقتصاد كتابه "تحقيق في طبيعة وأسباب ثروة الأمم" في عام 1776. [4]

نشر سميث أهم أعماله بعنوان: "تحقيق في طبيعة وأسباب ثروة الأمم" تم اختصاره إلى "ثروة الأمم" في عام 1776 بعد عودته من فرنسا والتقاعد في مسقط رأسه كيركالدي، باسكتلندا. في كتاب "ثروة الأمم"، قام سميث بتعميم الأفكار التي تشكل أساس الاقتصاد الكلاسيكي. حيث بنى الاقتصاديون الآخرون على أعمال سميث الفكرية لترسيخ النظرية الاقتصادية الكلاسيكية، المدرسة المهيمنة على الفكر الاقتصادي خلال فترة الكساد الكبير. وكانت أفكار سميث واضحة في أعمال ديفيد ريكاردو وكارل ماركس الفكرية في

---

[3] - محمد لطفي جمعة، محاضرة بتاريخ: الاثنين 16 كانون الثاني/يناير سنة 1911.
https://www.hindawi.org/books/91480861/2/

[4] - جامعة جرونينجن. "سيرة آدم سميث (1723-1790)". تم الوصول إليه في 1 مارس 2020.

القرن التاسع عشر، وجون ماينارد كينز وميلتون فريدمان في القرن العشرين.[5]

3 - الثروة كما يراها سميث هي:

ما هي الثروة؟ الثروة هي مجموع الأموال المادية التي تصلح لإشباع الحاجات البشرية والتي يحصل عليها الإنسان من عمله مباشرة أو بالمبادلة، والثروة السنوية للأمة هي مجموع الأموال المادية التي أنتجها أفرادها بعملهم المشترك مباشرة أو بمبادلة قسم من عملهم بنتاج عمل الأمم الأخرى، ويبدو هنا جلياً انفصال سميث عن كل من المركانتيليين والفزيوقراطيين.

عرف سمث ثروة أي أمة من الأمم بأنها ليست مقدار الذهب أو الفضة الذي تمتلكه، بل هي الأرض وتحسيناتها وغلاتها، والشعب وجهده وخدماته ومهاراته ومنتجاته. (وكانت نظريته أن أكبر الثروات المادية تكون نتيجة لأكبر الحريات الاقتصادية، وهذا مع بعض الاستثناءات. وحب المنفعة الشخصية أمر عام بين جميع الناس، ولكننا لو سمحنا لهذا الدافع القوي بالعمل بأقصى حرية اقتصادية لحفز من النشاط والجرأة والمنافسة ما يثمر من الثروات أكثر من أي نظام آخر عرفه التاريخ، ... وقد آمن سمث بأن قوانين السوق - خصوصاً قانون العرض والطلب - ستنسق بين حرية المنتج ومصلحة المستهلك؛ ذلك أنه لو حقق المنتج أرباحاً باهظة لدخل غيره الميدان نفسه، ولأبقى التنافس المتبادل بينهما الأسعار والأرباح في نطاق حدود معقولة. ثم أن المستهلك سيتمتع بضرب من الديموقراطية الاقتصادية. ذلك أنه بالشراء أو برفض الشراء سيقرر إلى حد كبير أي السلع تنتج، وأي الخدمات تقدم وبأي مقدار وثمن، بدلاً من أن تملي الحكومة كل هذه الأمور).[6]

---

[5] - مؤسسة تعليم الاقتصاد. "بدأ كل شيء مع آدم." تم الوصول إليه في 1 مارس 2020.

[6] – آدم سميث،

https://www.marefa.org/%D8%A2%D8%AF%D9%85_%D8%B3%D9%85%D9%8A%D8%AB

وبذلك يتوقف حجم ثروة أي بلد على عدد السكان المشتغلين في مجال الإنتاج وعلى مستوى إنتاجية العمل (فالعمل هو الأساس لثروة الأمم)، وتتوقف إنتاجيه العمل قبل كل شيء على درجة تقسيم العمل.

4 - ما هو الإنتاج برأي آدم سميث:

الإنتاج برأي سميث يعني:

- مضاعفة كميات الثروة (الزراعة).
- جعل المادة صالحة لإشباع الحاجة (الصناعة).
- وبشكل عام فإن الإنتاج في رأيه هو الإنتاج المادي حصراً.

في الحقيقة أن مقولة (ثروة الأمم) تعني لدى سميث رأس المال وأن الوسيلة الأساسية لزيادة هذه (الثروة) هي تطوير تقسيم العمل المانفكتوري.

ناقشت أعمال سميث الفكرية تطور المجتمع البشري من مرحلة الصيد بدون حقوق الملكية والإقامة المتغيرة أو المساكن الثابتة إلى مرحلة الزراعة البدائية. ثم مرحلة الإقطاعيية حيث يتم وضع القوانين وحقوق الملكية لحماية الطبقات المتميزة المالكة لوسائل الإنتاج. وأخيرًا المجتمع حديث يتميز بفلسفة الأسواق الحرة حيث يتم إنشاء مؤسسات جديدة لإجراء معاملات السوق. [7]

في كتابه الأول، (نظرية الوجدان الأخلاقي) 1759، اقترح سميث فكرة اليد الخفية، وأكد ميل الأسواق الحرة لتنظيم نفسها بنفسها عن طريق المنافسة والعرض والطلب والمنفعة أو المصلحة الذاتية.[8]

5 - مبدأ تقسيم العمل:

ما يدهشنا في مبادئ سميث أنه بالرغم من نظريته في تقسيم العمل نرى أنه لا يقدر، أو لا يريد أن يساوي الزراعة بمصادر الثروة الأخرى، بل هو يضعها على رأس سائر الفنون، وهذا لا شك راجع إلى تأثير الفيزوقراطيين، وقد أكد سميث بالإضافة إلى مبدأ تقسيم العمل مبدأين آخرين:

الأول - رأيه في طبيعة الأشياء،

---

[7] - موسوعة بريتانيكا. "ثروة الأمم". تم الوصول إليه في 1 مارس 2020.

[8] - موسوعة الفلسفة على الإنترنت. "آدم سميث (1723–1790)". تم الوصول إليه في 1 مارس 2020.
آدم سميث، راكيش شارما، تم التحديث في 16 فبراير 2020.
https://www.investopedia.com/updates/adam-smith-economics/#citation-10

والثاني - رأيه في حسن الظن بالأشياء.

ويقصد برأيه في طبيعة الأشياء أن الأنظمة الاقتصادية لا تأتي بعد تدبير إنما هي تأتي بطبيعتها العفوية وبدون تعليل، ونقصد بحسن ظنه بالأشياء رأيه القائل: بأن كل الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية ترمي إلى غايات حميدة.

كان آدم سميث يظن أنه متى أثبت أن وجود الأنظمة الاقتصادية أمر طبيعي، أمكنه في الوقت نفسه أن يثبت اتجاهها في سبيل الخير الإنساني. لكن هذا غلط واضح من الأستاذ العظيم؛ لأن إثبات صدور أمر من الطبيعة أمر، وإثبات اتجاه هذا الأمر نحو الخير أمر ثانٍ، لكن سميث لم يكن يفصل بينهما، أما علماء الاقتصاد الذين جاءوا بعده اتخذوا الرأي الأول؛ أي وجود الأنظمة الاقتصادية بطبيعتها، ورفضوا الرأي الثاني؛ أي اتجاه تلك الأنظمة نحو الخير العام دائما.

6 - نظرية آدم سميث في مسألة النقود:

طبق آدم سميث نظريته هذه في مسألة النقود. حيث يؤكد أن ثروة البلاد هي المحصول السنوي من أرضها وعملها، أما النقود فهي لا ينتفع بها كما ينتفع بالقمح، إنما هي أداة لتداول الثروة ليس إلا؛ لذا يقول آدم سميث بأهمية الأوراق المالية البنك نوت لأنها بوجودها وباستغناء الناس بقطع من الورق عن مقادير وافرة من الذهب والفضة، أمكن للأمة الانتفاع بما عندها من الذهب والفضة بإرساله خارج البلاد لزيادة الثروة الحقيقية.

وخلاصة القول أن السياسة التي تعمل على تكويم المال في بلد من البلاد هي مخالفة لفكرة ثراء الأمة؛ لأن المقدار الكثير من النقود لا يزيد ثروة الأمة إنما هو على العكس يضايقها. وما يصدق على النقود المعدنية يصدق على الأوراق المالية؛ لذا كانت تلك الأوراق النقدية تابعة لقانون ثابت، يقضي عليها بأن لا تزيد عن المطلوب وإلا هبطت قيمتها.

أما القوة الخفية التي تحرك الناس في نشاطهم الاقتصادي نحو حياة التقدم هي المصلحة الذاتية، ورغبة الإنسان في تحسين حاله، وغريزة الفرد التي لا تفتأ تحثه على التقدم. فخلاصة فكر آدم سميث هي وجود أنظمة اقتصادية

بطبيعتها، وأن هذه الأنظمة محفوظة بمصالح الأفراد وتحقيق شهواتهم ورغباتهم المختلفة.

الأستاذ الدكتور مصطفى العبد الله الكفري

كلية الاقتصاد – جامعة دمشق

دمشق ص ب 12341 سورية

Email: moustafa.alkafri@gmail.com